ملامح من التاريخ الأمريكي (١)
سكان منطقة المستعمرات البريطانية في أمريكا

أ.بسام داود القباطي (*)

لم تغب بريطانيا عن حركة الكشوفات الجغرافية في القرن ١٦م، فأرسلت فلكها ببحاريها ومستكشفيها من الإنجليز وغيرهم لتدور في فلك الكشوفات والاستعمار والخوض غربا في مياه المحيط الأطلسي للبحث عن الهند المزعومة، وتحقق لها ما أرادت على أرض القارة الأمريكية الشمالية، حيث أصبح رعاياها من المستوطنين للمنطقة الشرقية من تلك القارة في بدايات القرن ١٧م، فتأسس لبريطانيا هناك ١٣ مستعمرة شكلت النواة لما سيعرف لاحقاً بالولايات المتحدة الأمريكية. وحين وصول الأوروبيين إلى تلك البقاع، لم تكن خالية من السكان، فقد كان لها سكانها المحليون المنتشرون في تخومها وسواحلها وآكامها ووديانها ولم تكن القبائل متوزعة في تلك المنطقة من القارة فقط، بل انتشرت في عدة مناطق في القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية عموماً، وسيكون التركيز في هذا البحث مقتصراً على قبائل شرق نهر المسيسبي[١] Mississippi في الجهة الشرقية من قارة أمريكا الشمالية (المساحة المكانية لموضوع البحث).

* قسم التاريخ والعلاقات الدولية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء.

[١] نهر المسيسبي: هو أطول نهر في الولايات المتحدة الأمريكية، أخذ اسمه من لغة المنطقة المحلية، ومعناها النهر العظيم. يجري من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ طوله دون روافده ٤٠٠٠ كم، ويغطي حوضه ثلث مساحة الولايات المتحدة، حدوده في الولايات المتحدة ٩٨.٥% وفي كندا ١.٥%. للمزيد، أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج٢. دار النهضة، بيروت، ١٩٩١م. ص١٧٠٣.

أصل السكان في شرق المسيسبي

أشارت معظم المصادر التي تم تناولها في هذا البحث إلى وجود سكان على تلك الأرض قبل وصول الأوروبيين، كانوا قد قدموا من قارة آسيا، ويعودون في الأصل إلى الجنس المغولي بحسب الصفات الجسمية وشكل الجماجم المعثور عليها في حفريات بعض المناطق الأمريكية[١]. وبالنسبة لزمن انتقالهم واستدلالاً بآراء عدد من الآثاريين، فقد أعادت بعض المصادر التواجد الأول للإنسان في شمال أمريكا إلى ٤٠ ألف سنة مضت[٢]، وهناك من يعيده إلى ما قبل ٢٥ الف سنة، بدلالة وجود آثار بشرية بجانب آثار لحيوانات انقرضت قبل تلك الفترة[٣]، ويشير كتاب (*جغرافية القارات*) إلى أن فترة ما بعد العصر الجليدي الأخير[٤] هي فترة وصول الآسيويين إلى ألاسكا[٥] Alaska،

---

[١] – موسى، علي؛ الحمادي، محمد: جغرافية القارات. دار الفكر، دمشق ١٩٩٧م. ص ٥٣٨.

[2] - NEWMAN, JOHN J.; SCHMALBACH, JOHN M.: UNITED STATES HISTORY, PREPARING FOR THE ADVANED PLACEMENT EXAMINATION. AMSCO SCHOOL PUBLICATIONS, NEW YORK 2010. P1.

[٣] – زن، هوارد: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١، ترجمة: شعبان مكاوي. المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٩م. ص٤٩.

[٤] – العصر الجليدي الأخير: أقرب عصر جليدي إلى زمننا الحالي والذي حدث في الأعوام الأخيرة من البليستوسين، منذ حوالي ١١٠,٠٠٠عام، وامتد على مدى ١٠,٠٠٠ عام. للمزيد، أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/ عصر_جليدي_أخير

[٥] – ألاسكا: ولاية أمريكية، شبه جزيرة تقع شمال غرب أمريكا الشمالية، مساحتها تقدر بمليون ونص كم٢، اكتشفها الروسي شيلوكوف عام ١٧٨٤م، وأنشأ فيها محطة لتجارة الفراء. ظهر الخلاف في ١٩٠٣م على الحدود بين ألاسكا الروسية وكولمبيا البريطانية، وانتهى لصالح البريطانيين في المناطق الحدودية. وظهرت أهمية المنطقة الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة، فتمكنت من شرائها من الروس عام ١٩٥٨م. للمزيد، أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج ١، ص١٩٣.

من خلال مضيق برينغ[١] Bering-Strait،[٢] والذي كان ظاهراً كجزء من اليابسة قبل أن تغمره المياه.[٣] ومن المؤرخين من يقول بأنه كان مغموراً حينها، وأن تجمد مياهه هو ما سمح بانتقال الآسيويين إلى ألاسكا. لكن، إذا كان الطقس شديد البرودة وقارساً الى درجة التجمد. فما كانت حاجة أولئك للانتقال وخوض ذلك العناء والبرودة القاسية؟!، على ذلك يمكن استثناء هذا الرأي. وهناك من يذكر بأن سلسلة الجزر الألوتية[٤] Aleutian Islands أيضاً قد سهلت عملية نفوذ وعبور أولئك إلى أراضي القارة الأمريكية الشمالية،[٥] وإذا افترضنا صحة ما تناوله السابقون في الوصول البري للمنتقلين الأوائل من آسيا، فيبدو أن دور هذه الجزر قد أتى متأخراً، حيث كان الانتقال قد أصبح بآلية جديدة وهي بالإبحار، حيث لا يمكن التنقل براً لعبور تلك الجزر. وعلى ذلك يكون دور تلك الجزر في العبور متمثلاً في عامل تزويد وصيانة المراكب والسفن التي يصعب عليها الإبحار طويلاً وإلى مسافات بعيدة.

---

١ – مضيق برينج Bering–Strait: يفصل بين قارة آسيا وقارة أمريكا الشمالية، ويصل في الوقت نفسه بين بحر برينغ والمحيط المتجمد الشمالي ,هذا المضيق تم اكتشافه في المرة الأولى من طرف البحار الروسي سيمين إيفانوفيتش ديجنيف عام 1648م وأبحر فيه من جديد البحار الدنماركي فيتوس بيرنغ عام 1728م، الذي تمت تسمية المضيق نسبة إليه. للمزيد، أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/(مضيق)_برينغ.

٢ – موسى، الحمادي: جغرافية القارات. ص ٥٣٨.

3 - NEWMAN; SCHMALBACH: UNITED STATES HISTORY. P2.

٤ – الجزر الألوتية: المعروفة أيضاً باسم جزر ألوشيان، هي سلسة من جزر البركانية، تقع غرب شبه جزيرة ألاسكا، عددها ١٤ جزيرة كبيرة وحوالي ٥٥ جزيرة متوسطة المساحة والعديد من الجزيرات، ومساحاتها الإجمالية ١٧,٥٥٢ كم² تقريباً، ويفصلها بحر برينغ عن المحيط الهادي ويبلغ. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج١، ص٥٣٨.

5 - THWAITES, REUBEN G.: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY – THE COLONIES 1492- 1750. LONGMANS, GREEN, NEW YORK 1915. P2, 3 ;

غلاب، محمد السيد؛ آخرون: جغرافية العالم، دراسة إقليمية، ج٣. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦م. ص٨

قبل مواصلة الكتابة في موضوع السكان، وجب التوقف لتناول مفهوم الأصل ـــ الذي تمت الإشارة إليه في الفقرة السابقة ـــ بالنسبة لأصل السكان يعتمد على الارتباط بالأرض بالأساس بجانب التواجد ليس الموغل في القدم فقط، بل ما هو مجهول بدايته. وعليه، يعتقد الباحث بأن التوصيف بـ(السكان الأصليين) ـــ لمن وجدهم الأوربيون على تلك الأرض ـــ توصيف غير مطابق لواقع الحال، حيث يمكن اعتبارهم السكان المحليين وإن كانوا الأوائل في سكن تلك البقاع، كون قد تم إثبات أصلهم وقدومهم ـــ وعرض احتمالات تاريخ قدومهم ـــ من منطقة أخرى، بل من قارة أخرى. ومن هذه القارة (الأخرى) تأتي النقطة الثانية من تسميتهم، حيث تم وصفهم بالهنود وهي صفة في غير موقعها أيضاً. فبالعودة إلى أصولهم؛ يكون الجنس المغولي هو المرجح (عملياً) لأخذ التسمية وليس الجنس الهندي، فظن المستكشفين وولعهم ورغبتهم بالوصول إلى الهند قد جعلهم يؤمنون بأن وصولهم كان للهند فعلاً، فكانت التسمية بالهنود شيئاً منطقياً. ولكن، ما كان منطقياً بحسب فرضية خاطئة حينها أصبح قائماً ومفروضاً كواقع بعدها، حيث ذهب من أتى بعد المستكشفين إلى تداول التسمية نفسها لأولئك السكان وإن ميزوهم بمفردة (الحمر) عن الهنود الحقيقيين واستمرت حتى الوقت الحاضر وستستمر. وقد تم تحاشي توصيفهم بهذا الوصف فيما مر معنا، وعليه سيتم الإشارة إليهم في هذا البحث بـ(السكان المحليين)، وعند ضرورة كتابة مفردة هنود للإشارة إليهم ـــ تماشياً على ما هو متعارف عليه ـــ ستكون بين حاصرتين (هنود) تماشياً مع ما يفترضه الباحث.

ويبدو أن اتفاق المؤلفين والمؤرخين حول أصل (الهنود) الآسيوي، لم يشفع له أن يكون هو العامل المشترك القوي لجمع أولئك، بل تدخل عامل البيئة (مكان – زمان) ليفرق بين هذه الجماعات المنتمية لأصل واحد عن طريق التنقل بالهجرات الداخلية؛ بحثاً عن المكان الأنسب للاستقرار بحسب اقتناع كل مجموعة. وليس بغريب مع قلة السكان في بداية التنقلات أن تسبب فُرقة مع تطاول ومرور الزمن؛ فكان من نتاجها تعدد للهجات والعادات والسلوك. ومع احتمالية إعادة التقارب عند ازدياد السكان وعودة الروابط الاجتماعية عن

طريق الجوار أو المصاهرة؛ صَعُبَ تثبيت حدود معينة لكل قبيلة أو إجراء تصنيف عشائري دقيق لتلك القبائل.[١]

انتشر السكان المحليون في فرعين رئيسين في شرق المسيسيبي، في المنطقة الوسطى والشمالية من القارة الأمريكية الشمالية الممتدة، الفرع الأول: ألجونكوين[٢] Algonquin، وضم قبائل: بوهاتان Powhatan، شاوني Shawnees، ديلاوير Delaware، إيليون Illion، ميامي Miami، كيكابو Kickapoo، بوتاواتومي Pottawatomie، أوتاوا Ottawa، تشيبيوا Chippewa، أوبجيبوا Objibwa، موهيجان Mohegan، بيكوت Pequot، ناراجانست Narragansett، وامبانواج Wampanoag، تاراين Tarraine، أبينكي Abenaki، وينيباجو Winnebago، هارون Huron، إري Erie. أما الفرع الثاني، فكان يضم قبائل إيروكوا[٣] Iroquoi ، وهي: سينيكا Seneca، كايوجا Cayuga، أونونداجا Onondaga، أونيدا Oneida، موهوك Mohawk، سسكويهانوك Susquehannock.[٤] وإلى الجنوب والجنوب

---

[1] - THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P9.

[٢]– ألجونكوين: فرع من السكان المحليين في أمريكا الشمالية، الذي سكن المنطقة من فرجينيا جنوباً حتى خليج هدسون شمالاً، وانتشروا خلال فترات متعاقبة حتى تمكنوا من الوصول إلى جبال روكي غرباً. للمزيد، أنظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Algonquin_people

[٣]– إيروكوا (أُخذ لفظ الاسم بالعربية من اللفظ الفرنسي لاسم القبيلة): فرع من جماعة الداكوتا الكبيرة، نزحت من مكان إقامتها في غرب نهر الميسيسيبي، وامتدت في فترات حتى وصلت إلى ولاية نيويورك الحالية، وكان أعضاؤها يعيشون على صيد السمك والصيد البري والزراعة. وكانوا يسكنون في قرى تحميها الأسوار الخشبية في معظم الأحوال. أنظر: Dictionary of American History, Vol.3. Charles Scribner's Sons, New York 1976. P475

[4] - SAMS, CONWAY WHITTLE: THE CONQUEST OF VIRGINIA, THE FOREST PRIMEVAL. G. P. PUTNAM'S SONS, LONDON ١٩١٦. P26.

الغربي من فرجينيا[١] Virginia، استقر السكان المحليون بين نهر تينسي[٢] *Tennessee River* وخليج المكسيك[٣] Gulf of Mexico، وهي قبائل: تسكارورا Tuscarora، شيروكي Cherokee، ماسكوكي Maskokee، كاتاوبا Catawba، سمينول Seminole.[٤]

وفيما يتعلق بأعداد أولئك المحليين في تلك الفترة، فمن المتوقع وقتها عدم وجود مسح رسمي أو شعبي مثبت أو تقديري لتعداد سكاني، وعليه فقد غاب إجماع المؤرخين حول هذا الأمر، بل تفاوتت التقديرات بشكل كبير؛ صعب معه إيجاد احتمالات متوسطة في فترة وصول الأوروبيين. فمنهم من يقدر عددهم ٩٠ ألف ساكن في الجزء الشمالي الشرقي للقارة الشمالية،[٥] بينما يقدرهم آخر بأنهم لم يتجاوزوا ٢٠٠ ألف ساكن،[٦] وتقدير ثالث بما يقارب

١– فرجينيا: ولاية أمريكية، مساحتها ١٠٣ ألف كم٢ تقريباً. عاصمتها رتشموند، تم تأسيسها واستيطانها في عام ١٦٠٧م كأولى المستعمرات الإنجليزية (الجنوبية) . الموسوعة العربية، مج٢. ص١٢٨٣.

٢ – نهر تينسي: أكبر روافد نهر أوهايو، يمتد على طول كيلو متر واحد تقريباً على الجهة الجنوبية الشرقية من وادي تنسي، كان يطلق عليه نهر شيروكي Cherokee River، وأخذ اسمه من قرية لقبيلة شيروكي اسمها تناسي Tanasi. للمزيد، أنظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Tennessee_River

٣ – خليج المكسيك: مسطح مائي كبير بمساحة ١.٦ مليون كم2 تقريباً، تحده من الشرق، الشمال، والشمال الغربي الولايات المتحدة الأمريكية، وتحده المكسيك من الجنوب والجنوب الغربي، ومن الجنوب الشرقي كوبا. أنظر: خليج_المكسيك/https://ar.wikipedia.org/wiki

4- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P27. THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P11.

5- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P10.

٦– نيفنز، ألان؛ كوماجر، هنري: موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: محمد خليل. دار المعارف، المعارف، القاهرة ١٩٨٣م. ص١٠.

٨٠٠ ألف ساكن،[١]، وهي النسبة التي قاربت ما ذهب إليه كتاب *(جغرافية العالم)* بعدم تجاوزهم المليون،[٢] أما أعلى تقدير تم الإشارة إليه فكان بين مليون ومليوني نسمة مع نهاية القرن ١٥ الميلادي.[٣] ولا يمكن الجزم بأي من ذلك كله، لعدم وجود آلية علمية تم الأخذ بها في تلك التقديريات لعدد السكان.

حضارة السكان المحليين

بلغة التقدم التقني، كان السكان المحليون في شرق أمريكا الشمالية ـــ في فترة قدوم الأوربيين ـــ ينتسبون إلى حضارة العصر الحجري الحديث[٤] Neolithic، إذ كانت أدواتهم مخصصة، لكنهم لم يعرفوا التعدين وإعادة تشكيل المعادن، بل استخدموا ما تقدمه الأرض لهم ومما يمكنهم أخذه مما يجدونه مناسباً لقدراتهم للصمود أمام تحديات ومعوقات البقاء،[٥] وذلك لا يمنع أبداً تتبع بعض أوجه الحضارة لديهم، والتي ميزتهم ومنها:

١- اللغة

بلغ عدد اللغات المحصورة في منطقة ما سيُعرف بالولايات المتحدة أربع لغات محلية متداولة ضمت فيما بينها لهجات محلية عديدة،[٦] وبالرغم من تعدد

---

[١]- زهر الدين، صالح : نشوء الولايات المتحدة وتطورها. المركز الثقافي اللبناني، بيروت ٢٠٠٤م. ص٤٤.

[٢]- غلاب؛ آخرون: جغرافية العالم. ص٧.

[٣] - جوردن، جون ستيل: إمبراطورية الثروة – التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية، ترجمة: محمد باكير، عالم المعرفة، العدد (٣٥٧)، الكويت ٢٠٠٨م. ص ١٨.

[٤]- العصر الحجري الحديث: أحد العصور الزمنية، ابتدأ حوالي ١٠,٢٠٠ قبل الميلاد في بعض أجزاء من الشرق الأوسط، وفيما بعد في أجزاء أخرى من العالم. وينتهي بين ٤٥٠٠ و٢٠٠٠ ق.م. وتختلف التحديدات الزمنية للعصور حسب البيئات الطبيعية للمنطقة. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج .2 ص ١٢١.

[٥] – جوردن: إمبراطورية الثروة. ص ١٨.

[6] - THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P9.

تعدد هذه اللغات ولهجاتها من جهة، وكونها لغات شفهية غير مكتوبة من جهة ثانية، إلا أنها تمكنت أن تكون الوعاء الذي ضم تاريخ تلك القبائل، بما تم تداوله عبر الأجيال عن طريق الأشعار والأغاني والقصص المتوارثة شفاهاً،[١] وظهرت هناك بعض الشعارات التي ترمز إلى أشياء بعينها، مثال ذلك: فأس = الحرب، شجرة = السلام، سلسلة = تحالف،[٢] ولا يمكن اعتبار تلك الشعارات كتابة تصويرية، كونها رموز محصورة لا تشمل كل المسميات.

٢- المساكن

كانت المساكن في الجزء الشرقي من أمريكا الشمالية عبارة عن بيوت مبنية من القصب والأخشاب، بخلاف ما تظهره النظرة الشعبية المشتقة من عادات (الهنود الحمر) الحالية[٣] من النازحين نحو الغرب، حيث العيش في خيام أصبح أكثر ملائمة لما استجد في حياتهم من تهجير وإزاحة وتنقلات مستمرة نحو الغرب بسبب أطماع وسياسات (الرجل الأبيض).[٤] وهناك من سجل أوصاف بعض تلك المساكن "... **في الأطراف الشمالية لجزيرة رونوك Roanoke[٥] قرية صغيرة مكونة من تسعة بيوت مبينة من خشب الأرز ومحصنة بسور دائري من الأشجار (الأخشاب) حادة لإبعاد أعدائهم، وهناك بوابة واحدة فقط في هذا الحصن من الأشجار (السور الخشبي)**".[٦] وكانت البيوت ـــ في الأغلب ـــ إما دائرية أو مستطيلة وكانت أخشاب البناء تتجمع نحو الوسط؛ لتشكل بامتدادها خارجاً هوة لإخراج الدخان،[٧] ويضم البيت

---

١ – زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٤.

2 - SIMMS, J. R.: THE SETTLERS AND THE IROQUOIS. IN [BARSTON, CHARLES .L: EXPLORERS AND SETTELRS. NEW YORK, THE CENTURY COMPNY 1912]. P167.

3- SIMMS: THE SETTLERS AND THE IROQUOIS. P167.

4- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P183.

٥– رونوك: جزيرة تقع في مقاطعة دير Dare County ، قبالة ساحل ولاية كارولينا الشمالية. تمتد بمساحة ٣٦ كم٢. للمزيد، أنظر: *https://en.wikipedia.org/wiki/Roanoke_Island*

6 –SNEDEKER, FLORENCE W.: A VOYAGE TO VIRGINIA. NEW YORK, THE CENTURY COMPNY 1912. P54.

7- FISHER, GEORGE PARK: THE COLONIAL ERA. CHARLES SCRIBNERS SONS, NEW YORK 1910. P9.

غرفاً داخلية، إحداها يكون مخزناً لاحتياجات الأسرة الغذائية مثل: الذرة، اللحم المملح، السمك المجفف، الفواكه والماء، ومطبخ يحتوي على القليل من قدور طينية وصحون خشبية.[١] ويغلب الظن هنا بأن تصوير (الهندي الأحمر) مع خيمته ليس بالأمر الأصيل، ويمكن إعادة ذلك إلى الضرورة التي نتجت لتناسب كثرة تنقلاته بسبب استمرار مهاجمة الرجل الأبيض له وأقصائه المتكرر من أراضيه.

٣- الملابس

مما لا شك فيه، أن كل حضارة تعكس نفسها في منتسبيها، أكان ذلك بما يتعلق بالماديات أو الفكر أو السلوك، وما يمكن قوله في هذا المقام ينطبق على المظهر الخارجي للسكان المحليين بما يرتدونه ويتزينون به، وهذا الشيء من الأهمية بمكان؛ أذ يجذب إليه أنظار القادمين الجدد من ذوي الحضارات الأخرى. وقد سجل ورسم بعض مسجلي الرحلات الاستكشافية الأولى ذلك المظهر، فمن خلال توقيت الوصول الأول إلى فرجينيا (صيفاً) كان لباس الرجال مئزراً قصيراً من الجلد[٢]، وبالنسبة للمسنين منهم كان لباسهم دثاراً من جلد كبير سميك مربوط إلى أكتافهم ويتدلى حتى يغطي ما تحت ركبهم[٣]، بينما بينما النساء ارتدين ـــ من الجلد ـــ ما يغطي أجسادهن من الرقبة حتى الركبة، وفي الشتاء كلا الجنسين ارتدى عباءة كبيرة من جلد أو فرو الحيوانات[٤]، وانتعلوا أحذية مصنوعة من قطعة واحدة من جلد حيوان الظبي، مع إضافة قطعة أخرى من الجلد نفسه لتثخين النعل، وربطت بخيوط جلدية لتشد حول الكاحل[٥].

أما عن زينتهم، فتزينوا بالمرجان واللآلئ في عقود الأعناق أو أقراط الآذان، وقد كان بعض العقود والأساور من الخرز، كما وجدت بعض القطع

1– SNEDEKER: A VOYAGE TO VIRGINIA. P54,55.

2- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P15.

3- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P57.

4- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P15.

5- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P56.

والتعاليق النحاسية على رؤوس الزعماء بشكل خاص[١]. ذكر المصوغات النحاسية هنا لا يتناقض مع ما ذُكِر بعدم استخدامهم للمعادن في بداية الحديث عن حضارة السكان، ويمكن إعادة ذلك وترجيحه إلى المقايضات التي كانت تتم مع من سبق وصولهم إلى العالم الجديد قبل وصول من قاموا بتسجيل هذا الوصف. وإضافة إلى ميولهم للتزين بالمعادن، كانوا مولعين أيضاً بالألوان الزاهية وريش الطيور الجارحة.[٢]

الوضع السياسي للسكان المحليين

تَجَمَّع المحليون في نظام القبائل، وتكونت القبيلة من مجموعة من العشائر، وكل عشيرة قطنت تجمعاً سكنياً واحداً (قرية)، والعشيرة بدورها تكونت من عدد من العائلات،[٣] وكانت الوحدة السياسية الرئيسة تتمثل بهذه العشيرة التي يمثلها زعيم يكون هو القائد العسكري لها،[٤] وله مستشاران يطلق على الواحد منهما لقب سكيم Sachem.[٥] وليس معنى ذلك بأن القيادة كانت ذكورية صرفة، فقد كانت كبار النساء في القرية هن من يقمن باختيار الرجال الذين يمثلون العشائر في اجتماع القبائل، بل كان لهن حق عزل الرجال من مناصبهم إذا رأين منهم تقصيراً أو عدم تحقيق ما هو مرجو منهم.[٦] ولم يكن لدى السكان السكان المحليين قبل وصول الأوربيين قوانين ولا رجال شرطة وليس لهم محاكم أو سجون. ومقابل ذلك، كانت هناك حدود صارمة للسلوك غير المقبول

1- SNEDEKER: A VOYAGE TO VIRGINIA. P51 ؛ SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P40.

2- FISHER: THE COLONIAL ERA. P8.

٣– زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٢.

٤– النيرب، محمد محمود: المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ج١. دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٩٧م. ص٢٢.

5- FISHER: THE COLONIAL ERA. P10.

٦– زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٣.

وكان أشدها هو النفي والتشهير.[١] قد يَعتبر البعض بأن هذا العقوبة أمراً يسيراً مقابل ما قد يلقاه من ألم جسدي في عقوبات أخرى، لكن بالنسبة لأولئك قد يمثل ذلك عقاباً قاسياً لما يحمله من عار يلحق بصاحب العقوبة فيما إطار الرباط الاجتماعي والأخلاقي في مثل هكذا مجتمعات.

كان للأعداد الكبيرة من القبائل وبحكم الطباع البشرية أن تتسبب في اختلافات تؤدي لنشوء اشتباكات، على ذلك ظهرت تحالفات لتعزيز القوة وترجيح الكفة في الدفاع أو الهجوم، وأبرز مثال يوضح ذلك ما عُرِف بتحالف الأمم الخمس، الذي نشأ بين خمس قبائل من فرع الإيروكوا في شرق المسيسبي،[٢] وهي: موهوك، أونيدا، أونونداجا، كايوجا، سينيكا. وتمكنت قبيلة موهوك من قيادة هذا التحالف بالرغم من قلة عدد أفرادها مقارنةً بالقبائل الأربع الأخرى.[٣] نستخلص من ذلك أن الكثرة لم تكن معياراً لتولي القيادة بالقدر الذي كان لمعايير أخرى أكثر جدارةً كالشجاعة وتحمل المسئولية وحسن تدبير الأمور بالنسبة للقبيلة والتحالف.

وتحت قيادة قبيلة موهوك، تمكن ذلك التحالف من السيطرة على مناطق شاسعة من أراضي الفرع ألجونكوين في شمال ووسط شرق المسيسبي، وانضمت إلى هذا التحالف ـــ في فترة لاحقة (١٧١٣م) ـــ قبيلة تسكارورا[٤] تسكارورا[٤] Tuscarora من القبائل الجنوبية، وعُرف التحالف الجديد باسم تحالف الأمم الست[١].

---

[١] – زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٣،٥٤.

[٢]– لم يتمكن الباحث من تحديد زمن هذا التحالف إن كان قبل وصول المستعمرين أو من بعد وصولهم، من خلال المصادر التي تم الاطلاع عليها.

[3]- SIMMS: THE SETTLERS AND THE IROQUOIS. P166.

[٤] – قبيلة تسكارورا: من القبائل الجنوبية في أمريكا الشمالية، تعتبر من هنود كارولينا الشمالية، التحقت في ١٧٢٢م إلى تحالف الأمم الخمس، بعد فترة صراع مع كارولينا. ينتشر بعض أفرادها حالياً في كارولينا الشمالية وفرجينيا ونيويورك وبنسلفانيا. للمزيد، أنظر:

الوضع الاجتماعي للسكان المحليين

ظهرت عليهم مظاهر القناعة والبساطة[٢]، مع سلوك رصين كثيراً ما يمتزج مع مسحة من العظمة والوقار[٣]. وفي الوقت الذي يظهر به الهندي في المجالس وبين الغرباء بمظهر المتحفظ دون اظهار الفضول أو العاطفة، كان مرحاً، مهرجاً، ضاحكاً ومحباً للقصص الهزلية بين أسرته وقريباً من مسكنه، وكانوا كثيري الرقص، ولهم عدة ألعاب ومسابقات رياضية في أعيادهم.[٤] أما عن صفاته السيئة فقد تمثلت في الإسراف والتبذير.[٥]

وبخلاف هذه الأوصاف، يذكر مؤلف كتاب (*غزو فرجينيا*) "... **إذا لم يأتِ الرجل الأبيض لاحتلال والسيطرة على أمريكا، فأن (الهنود) كانوا سيفنون بعضهم؛ بسبب طبيعتهم القاسية وعداوتهم أغلب الأحيان**"[٦]، وقد يكون الغرض من كتابة ذلك إعطاء العذر والميزة التي يمكن إلحاقها بالاستعمار وإيجابية موقف الرجل الأبيض المحافظ على الجنس (الهندي)!، لكن بالعودة إلى طول الفترة السابقة لقدوم المستعمرين وبقاءهم فيها وانتشارهم في أرجاء القارتين يمكن دحض تلك الفكرة القائمة على الإبادة والتصفية التي لم تكن ـــ إن وُجِدَت ـــ للتأخر كل ذلك الوقت حتى قدوم المستعمرين في وقت متأخر جداً، وإلا ستكون العداوة والصراع ـــ بالكيفية التي اعتقدها الكاتب ـــ قد فتكا بالجميع، أو على الأقل بقاء فرقة واحدة، يعزى لها القيام بالإبادة. كما يمكن دحض تلك الفكرة بالاستشهاد من أحد أبناء الجنس الأبيض الأوروبي نفسه، فنقلاً عن أحد القساوسة بعد مقابلته للسكان المحليين في منتصف القرن ١٧

---

https://en.wikipedia.org/wiki/Tuscarora_people

[1] - THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P11.

[2]- SIMMS: THE SETTLERS AND THE IROQUOIS. P164.

[٣] – نيفنز؛ كوماجر: موجز تاريخ الولايات المتحدة. ص ٤٦.

[4]– FISHER: THE COLONIAL ERA. P8.

[5]- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P15؛ FISHER: THE COLONIAL ERA. P10,11.

[6]- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P27.

الميلادي إذ يذكر:[١] "... **ليس ثمة حاجة لإنشاء تكايا أو ملاجئ بين هؤلاء الناس، إذ ليس بينهم فقير**" من إشارته هذه يمكن اسقاط عامل الطمع أو الحقد الطبقي كسبب للصراع، "**أو من يعيش عالة على الآخرين**" ومن هذه يمكن إزالة فكرة الأحقية للبعض على حساب بعض أخر بدعوى الفاقة أو الأفضلية، "**وإن عطفهم وحسهم الإنساني العالي لا يجعلهم كرماء فيما تحوزه أيديهم فحسب بل لا يسمح لهم بتملك شيء إلا مشاركة مع الجميع**" وهنا نجد عامل مشترك يجمع الناس في المصلحة والضرر، ويجعلهم يداً واحدة أكثر مما يجعلهم أعداء وخصوم. وفي هذا الاتجاه أيضاً، يشير (النيرب) في كتابه (*المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية*) إلى كونهم لم يعرفوا الفردية وكانت الملكية جماعية، ويذهب أيضاً إلى أن "**ما (سماه) الرجل الأبيض (بوحشية الهنود)، إنما تعلمها هؤلاء من الرجل الأبيض الذي شجعهم على الحرب بشراسة عندما ظهرت المنافسة بين البيض للتعامل معهم**".[٢]

وبالنسبة للمرأة (الهندية) اجتماعياً، فبجانب ما تم ذُكره سابقاً بشأن المهام القيادية لكبيرات السن، فقد كان من مهام النساء أيضاً الأعمال المتعلقة بالزراعة ورعاية المحاصيل، إضافة إلى جميع الأعمال المنزلية. في حين كانت مهام الرجال الصيد والحرب.[٣] وشاركت المرأة أيضاً في أوقات الصراع والحروب، وذلك بعملية الإمداد بالطعام والنبال.[٤] بجانب ذلك حظيت المرأة بمكانة مرموقة في مجتمع الإيروكوا[٥]، إذ كان نسب الأبناء يتم عبر الأم، كما يلتحق الأزواج نسباً بمن تزوجوا بهن، وكان يحق للمرأة الراغبة في الطلاق الحصول عليه بقيامها بوضع حاجيات زوجها خارج البيت ليتم إعلان انفصالها

١- زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٢.

٢- النيرب: المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية. ص٢٢.

3- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P74.

٤- زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٢.

٥- (الإيروكوا) يستشهد الكثير من المؤلفين بهذه الفرع غالباً عند الحديث عن السكان المحليين، كونها الفرع الأقوى والأكثر نفوذاً في تلك الفترة.

عن زوجها،[١] من ناحية الزوج كان يحق للرجل التعدد في الزواج ولكن بشروط متعلقة بقدرته المادية على الإنفاق.[٢]

أما ما يتعلق بالأطفال، فكان يتم تعليمهم ثقافة شعبهم والتضامن مع قبائلهم، وأن يكونوا مستقلين غير خاضعين لأي سلطة مستبدة، كما لم يكن السكان المحليون يوقعون على أبنائهم عقوبات غليظة، بل كانوا يتركونهم ليتعلموا بشكل فردي أو جماعي كيف يهتمون بأنفسهم،[٣] ونقلاً عن كاتب (*رسائل من مزارع أمريكي* *Letters From An American Farmer*) ـــ فرنسي عاش ٢٠ عاماً في أمريكا ـــ في أهمية ودور المجتمع في تربية الأطفال، ومحور حديثه كان عن الأطفال المأسورين في حرب السبع سنوات[٤] Seven Years′ War والذين تم تربيتهم في مجتمع (هندي)، حيث ذكر أن "**هناك شيء آسر وفريد في نظامهم الاجتماعي، شيء دون ما نتباهى به في أوروبا؛**

١- زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٢.

2- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P77.

٣- زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٣.

٤- حرب السبع سنوات: (١٧٥٦-١٧٦٣م)، حرب شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ودولة هانوفر ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا، ودخلت أيضاً إسبانيا والبرتغال في الحرب بعد مدة من بدايتها عندما هوجم أحد جيوش المقاطعات المتحدة الهولندية في الهند، وامتدت هذه الحرب حتى أمريكا. وكان هناك سببين رئيسيين لهذه الحرب: ١- المنافسة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا في أمريكا، ٢- النضال في سبيل السيطرة والنفوذ في ألمانيا التي لم تكن دولة موحدة آنذاك. نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا؛ من أجل السيطرة على ألمانيا، مدت بريطانيا يد المساعدة لبروسيا أما فرنسا فقد ساعدت النمسا. وحاربت إنجلترا فرنسا من أجل السيطرة على البحار والأراضي الواقعة في أمريكا الشمالية. وانتهت الحرب بانتصار بروسيا وبريطانيا، وبعقد معاهدة الصلح في باريس عام ١٧٦٣م. للمزيد، أنظر: Dictionary of American History, Vol.3. P114؛ الموسوعة العربية الميسرة، مج١. ص٦٩٩.

إذ أن الكثير من الأوربيين أصبحوا (هنوداً)، في الوقت الذي لم يختر أحد من (الهنود) أن يكون أوروبياً"[١].

الوضع الاقتصادي للسكان المحليين

لابد لأي عملية استقرار لأي مجتمع أن يرافقها قيام السكان بأعمال ونشاطات اقتصادية متنوعة، تساعدهم على البقاء، وتؤمن لهم فرص أفضل للعيش بتسهيل حياتهم وتأمين احتياجاتهم. ومن الأنشطة التي مارسها السكان المحليون في أمريكا:

- **الصيد**

لعل الصيد مَثَّلَ أول الأنشطة التي قام بها المحليون في تلك البلاد لعدم وجود تدخل بشري مباشر في تغيير أو سير الطبيعة، وجعلها منتجة لعدم وجود مهارات تقنية تراكمية للحصول على نتائج مستقبلية لتأمين جزء من حاجيات الحياة، فكان الصيد قائماً في اتجاهين بري ومائي، حيث عده بعض المؤرخين النشاط الأغلب لأولئك السكان[٢]، ونتيجةً لغنى المنطقة بالغابات الشاسعة؛ التي وفرت ملجأ ومجال لعيش أعداد كبيرة من الحيوانات المختلفة: دببة، ذئاب، ثعالب، قطط برية، أرانب، سناجب، قندس ووفرة هائلة من الطيور[٣]، وعلى ذلك، كان توجههم نحو الصيد أمراً منطقياً. ومن طرقهم في الصيد إحراق الأحراش من جهة ما، وإجبار الحيوانات على الخروج من جهة أخرى؛ مما يسهل عليهم قنصها أو القبض عليها[٤].

وبالنسبة لصيد الأسماك، فقد كانت شواطئهم غنية بهذه الثروة الطبيعية، وكذلك الأنهار الداخلية وإن لم يكن بنفس الكثافة مقارنة مع ما يجود به المحيط،

---

[١] – زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص١٠٥.

[2]- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P10.

[3]- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P73.

[٤] – نيفنز وكوماجر: موجز تاريخ الولايات المتحدة. ص ٤٦.

ومع مرور الوقت تعلم السكان طرقاً لاصطيادها، فكان بجانب استخدام الشباك والرماح، استحدثوا في مناطق صيدهم السدود والموانع الحاجزة للأسماك، التي تسمح بدخول السمك وإعاقة خروجه؛ فكانت الطريقة الأنسب لصيد كميات كبيرة من الأسماك[١].

- الزراعة

بالرغم من توفر البيئة المناسبة للزراعة في المنطقة الشرقية من أمريكا الشمالية، إلا أن الزراعة لم تشمل سوى ما يقارب ١% من المساحة المهيئة لذلك.[٢] ولكن، قد تكون تلك المساحة المزروعة كافيةً لتوفير ما احتاجه السكان المحليون من إنتاج زراعي في تلك الفترة، وقد تنوع هذا الإنتاج بين الحبوب من ذرة وقمح، والبقوليات من بازلاء وفاصوليا، وفواكهه مثل: البطيخ، المشمش والكرز، بالإضافة إلى ما تجود به الطبيعة من كروم وتوت بري،[٣] ولعل ذكر الزنجبيل والقرفة السوداء عند بعض المؤرخين،[٤] قد لا يكون دليلاً على زراعتها الأصلية هناك؛ لكنه يعطينا مؤشراً على تواصل سابق مع آسيا. من جهتها كانت أمريكا موطناً لمنتجات لم تعرفها أوروبا مثل: التبغ، البطاطا الحلوة، الطماطم والكوسا[٥].

- الصناعة

ليس مستغرباً مع طول تواجد الإنسان (الهندي) في أمريكا أن يكون خلال تلك الفترة المديدة أن عمل في صناعة أشياء اقتضتها الحاجة. وبغض النظر

---

[1]- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P91-93.

[٢]– جوردن: إمبراطورية الثروة. ص١٨.

[٣]– زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ج١. ص٥٠؛
SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P73.

[4]- SNEDEKER: A VOYAGE TO VIRGINIA. P51.

[٥] النيرب: المدخل في تاريخ الولايات المتحدة. ص ٢٢.

عن تطورها التقني، فقد وجدت فخاريات[١] وسلال[٢] استخدموها لأغراض معينة، وكان لوفرة مادة الجلد من خلال عمليات صيد الحيوانات عامل في وجود صناعات جلدية بسيطة لأحذيتهم وملابسهم[٣]، وبجانب ذلك، وجدت منسوجات قطنية وصوفية، ومنها وجدت أغطية وستائر وسجاد، وحيك منها أيضاً شباك صيد السمك[٤]. ومن أجل عملية صيد السمك، لم تتوقف الصناعة على حياكة الشباك فقط، بل صنع المحليون قواربهم للصيد من جذوع الأشجار الكبيرة[٥]، ولعل صناعة هذه القوارب ـــ وإن كان من جذع او ساق شجرة واحدة ـــ تطلب وجود أدوات أخرى للقطع والنشر والتشذيب، وإن غاب الحديث عن هذه الأدوات في المصادر التي تم اللجوء إليها، إلا أنه لا يمكن تجاهل وجودها وإن كانت حجرية أو بسيطة.

- التجارة

لا يكتمل نمو أي مجتمع اقتصادياً ـــ مهما كان بسيطاً ـــ بغياب التجارة وحركة تبادل السلع، نظراً لعدم مقدرة طرف ما العمل في كل التخصصات وإنتاجه الذاتي لكل حاجياته. وعلى ذلك وجدت التجارة لكن بأسلوب بسيط على مستوى ما يمكن وصفه تجارة داخلية وقائم على المقايضة لسد العجز والحاجة عند كل طرف، وظهرت هذه العملية بوضوح في تعاملات السكان المحليين مع الأوروبيين، عند طريق مبادلة منتجاتهم (الزراعية والحيوانية) بالمنتجات القادمة من العالم الآخر، وخير مثال لتلك السلع: الأدوات النحاسية، الخرز والأدوات الزجاجية، وفي فترات لاحقة: البطانيات، الأسلحة النارية والملابس[٦].

---

[1] - SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P109.

[٢] – زن: التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ص٥٠.

[3]- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P56.

[4]- SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P125.

[5] - SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P110.

[6]- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P18؛ SAMS: THE CONQUEST OF VIRGINIA. P٤٤.

- **النقود**

لم يعرف السكان المحليون المال الحقيقي (النقد)، لكن كانوا يتداولون فيما بينهم ما سُمي بـالوامبوم wampum نوع من الصدف على شكل خرز، وهي نوعان: أبيض، وأرجواني (أسود) وتعادل قيمتها ضعف البيضاء، يمكن صفها ووضعها على هيئة أحزمة، وهي التي تُعطَى وتُأخَذ حسب المعاهدات كعملة تداول مع من هم من خارج القبيلة[١]، ومع توغل الإنسان الأوروبي وأدواته؛ لم يكن هناك مفر من ازدياد طلب المحليين على تلك الأدوات، فازداد التبادل التجاري مع النظراء من القارة الأوروبية، وبشروط كانت تزداد إجحافاً لصالح الأوروبيين؛ ولذلك فَقَدَ الوامبوم قيمته مع استمرار ذلك التبادل مع الوقت، وبهذا بدأوا في خسارة سيادتهم الاقتصادية، التي جلبت مع نهايتها انحسار للسيادة على الأرض ومعها انحسار لعناصر مميزة لحضارتهم[٢].

الوضع الديني للسكان المحليين

كانت لأولئك طقوس دينية كالصوم الطويل وتقديم الأضاحي. وفي بعض الأحيان، كان الرقص نوعاً من الطقوس الدينية المقدمة للأرواح، حيث آمن (الهنود) بالأرواح السيئة والجيدة ومقدرتها على أن تسكن في البشر والحيوان، وكان استحضار الأرواح يعتبر جزءاً من الاستطباب أيضاً[٣]. وفي هذا الجانب، كان لهم عرافون مشعوذون يلجؤون إليهم، ولكن لم يكن لهم معابد ولا كهنة ولا مناسك معينة للعبادة[٤].

---

[1]- SIMMS: THE SETTLERS AND THE IROQUOIS. P166.

[٢]– جوردن: إمبراطورية الثروة. ص ١٩.

[3]- THWAITES: EPOCHS OF AMERICAN HISTORY. P15,16

[4]- FISHER: THE COLONIAL ERA. P10.